

صلة الصوت بنشأة اللغات والمعنى

اللغة ظاهرة انسانية عامة يستطيع المرء بها أن ينقل المعاني التي تدور في ذهنه الى الآخرين ، وهي منطوقة مرتبة ترتيبيا ما ، يفهم السامع المراد ايصاله ، فإذا تغير الترتيب اختل المعنى فلو طرق سمعنا هذه الاصوات (ك ت ب ز ي د د ر س ه) لفهمنا ما دار في ذهن المتكلم ، ولكنها لو خرجت هكذا (ه س ي ك د ر ت ب ز د) ما فهمنا شيئا ، والاصوات هي نفسها لم تتغير ، والذي تغير هو ترتيبها في النطق ، فما الذي جعل الاصوات مفهومة في الترتيب الاول ولم نفهم شيئا حين اختل نظمها ؟ ولماذا يكون لهذه الاصوات معنى وهي تقع في سمع عربي ولا يكون لها معنى في سمع رجل من الهند مثلا ؟ ولم يكون للأصوات التي ينطقها الصيني معنى عندما يسمعها صيني آخر ولا يكون لها معنى عند العربي ؟ وكيف نشأت اللغات الانسانية ؟

رأى بعض العلماء أنه لا طائل من دراسة نشأة اللغات لأنها من الامور الغيبية القائمة على الحدس والتخمين .

ويرى البعض الآخر أنه يجب أن يقدم العلماء تفسيراً نظرياً لنشأة اللغات كي لا يدع الدارسين في حيرة من امرهم ، الأمر الذي أدى الى ظهور عدة نظريات تفسر نشأة اللغات قديماً وحديثاً منها : نظرية الابداع ، و نظرية التواصل و نظرية الاصطلاح ، و النظرية الصوتية التي نحن بصدددها ، ومن هؤلاء ابن جني الذي رأى ان اصل اللغات انما هو من الاصوات المسموعة : كدوي الريح ، وخرير الماء ، وصهيل الفرس ، ونحو ذلك ، وهذا يعني ان الانسان بدأ بمحاكاة الاصوات الطبيعية وأخذ يعبر عن تلك الظواهر بحكاية اصواتها ، وكانت تلك بداية انتباهه الى استعمال جهازه الصوتي ، ثم بدأ يطور هذا الاستعمال ليعبر عن حاجات حياته المختلفة ، وهناك أربعة آراء تبين العلاقة بين الصوت و نشأة اللغة وهي :

1 - رأي قائل بمحاكاة الاصوات الطبيعية : فبعض اللغات تبين أن كثيرا من الالفاظ انحدرت من تلك الاصوات .

2 - رأي يبين أن بداية استعمال الانسان لجهازه الصوتي كان عن طريق التأوهات والشهقات التي تصدر عنه بصورة غريزية .

3 - رأي يبين الصلة بين المؤثرات الخارجية التي يراها الانسان وبين اصدار أصوات تعبر عن تلك المؤثرات وهي صدى لها .

4 - رأي يقول أن الاصوات صدرت عن الانسان وهو يقوم بعمل جماعي شاق تعاونت معه مجموعة من الناس على ادائه .

والذي يمكن قوله ان دراسة اللغة في الامم البدائية دراسة تاريخية تشبه دراسة مراحل نمو اللغة عند الاطفال فاللغات الإنسانية كانت أول أمرها كثيرة الاصوات قليلة المعاني ، يمكن تصورها عن طريق بعض الكلمات التي وصلت الينا والتي يعدّها علماء اللغة ثنائية الأصول منها : (دم ، ويد ، سن ، وكف ، وفم) وهذه الطائفة من الكلمات تعبر عن أعضاء جسم الانسان ، و (ام ، وأب ، وأخ ، عم ، وبن ، وبنت) ، وهي ألفاظ تعبر عن القرابة ، فضلا عن بعض الكلمات التي اشتق منها أفعالا واسماء منها كلمة (رأس) الدالة على رأس الانسان وهو أعلى جزء فيه ، ثمّ اشتق منه (رأس ويرأس وترأس ورئيس) وهو من يتقدم ويعلو على جماعة من الناس . فوجود هذه الالفاظ الثنائية تدل على العلاقة المباشرة بالحياة الاجتماعية البدائية الوثيقة الصلة بشؤون الحياة اليومية ، وهو دليل على أنّ المفردات الأولى للغة كانت ببساطة شؤون الحياة ذاتها التي تتعلق بالإنسان وأعضائه وذويه .

أمّا علاقة الصوت بالمعنى فإن اختلاف الحرف الواحد او الحرفين او الثلاثة في كلمة او كلمتين يؤدي الى اختلاف دقيق في المعنى المراد ، وان دقة المعنى تتفق مع الحرف المختار لذلك نرى العرب أسموا البط لصوته ، والغاق للغراب لصوته .

أمّا الحروف الاصول فتشترك أصواتها في التعبير عن معنى بعينه ، وحين تنقلب تكون معانيها متقاربة ، مثل : تقلبات (جبر) تعطي معنى القوة والشدة ، وتقلبات (حجر) تعطي معنى

الشدّة والضيق ، وإن كان هذا الأمر لا ينطبق على ألفاظ اللغة كلها ، ومن باب تغيير الصوت يؤدي الى تغيير المعنى قولهم : نضح ونضح ، وسعد وصعد ، وخضم وقضم ، وقطع وقطم ، كما ان زيادة الاصوات تؤدي الى زيادة في المعنى ، مثل : حطم وحطّم ، وكسر وكسّر مضعف العين ، وعشب وعشّب واعشب واعشوشب ، وحذب و حدّب واحذب واحدودب ، وكذلك (فعل وافتعل) فـ (افتعل) أقوى في المعنى من (فعل) مثل قدر واقتدر.